**إضاءات اليقين من المشاعر والمناسك لتنوير المسالك للحاج الناسك**

**2025-05-09**

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ شَعِيرَةَ الحَجِّ تَنْمِيَةً لِلإِيمَانِ وَاليَقِينِ، وَشَرَّفَ عِرَاصَهُ الطَّاهِرَةَ بِجَعْلِهَا مَهْبِطًا لِوَحْيِهِ الأَمِينِ، وَمَهْوًى لأَفْئِدَةِ عِبَادِهِ المُوقِنِينَ، وَمَحَلاًّ لِصَفْوَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، فسبحانه من إله، فَرَضَ الحَجَّ تَرْبِيَةً لِلنُّفُوسِ وَتَهْذِيبًا، وَتَشْوِيقًا لِرِضْوَانِهِ وَتَرْغِيبًا، فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الرَّحِيمُ الغَافِرُ، جَعَلَ الحَجَّ مِنْ أَعْظَمِ الشَّعَائِرِ، وَنَادَى إِلَيْهِ عِبَادَهُ، فَلَبَّى الحُجَّاجُ وَالمُعْتَمِرُونَ نِدَاءَهُ، فَهُمْ مَا بَيْنَ دَاعٍ وَذَاكِرٍ، نَحْمَدُهُ عَلَى نَدَاهُ العَاطِرِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى كَرَمِهِ الغَامِرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. السيّدُ الكاملُ في عبوديّتِه. الفاتِح الخاتِم في نبوّته ورسالتِه. أكملُ مَنْ أَمَّ البيت الحرام بحجّه وعمرتِه. وأجملُ مَنْ طاف به وجعله وجه قِبلته. وأفضل مَنْ وقف بالمشاعر ودعا لأمّته. وأجلّ من نسك المناسك وقال:((خذوا عنّي مناسكَكُم)) حرصًا على اتّباع سُنّته.

رسولٌ كريمٌ هاشميٌّ ممجَّدٌ * لقد خصّه المولى بأرفع رتبةِ

حريصٌ علينا ساعيٌّ في نجاتنا * رؤوف بنا قد حاز أعظم رحمةِ

ألا يا رسول الله إنِّيَ عاشق * وحقِّك فاطْفِ نار شوقي ولوعتِي

ألا يا رسول الله إنّك سيّدٌ * جوادٌ فجُدْ للعبد منك برؤيةِ

ألا يا رسول الله عبدُك شائقٌ * إليك فجُدْ عزمًا عليه بزَوْرةِ

لئن عظمت منّي الذنوب فأنتَ لِي * شفيعٌ وحاشا أن أُرَدَّ بخيبةِ

عليك صلاة الله ثم سلامه * بلا منتهى والآلِ ثمّ الصّحابةِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. جوهرة الكمال. وسيِّد الرجال. وعلى آله عقود الجواهر النفيسة واللآل. وصحابته بحور الكرم والفضل والنوّال. صلاة تمنّ بها علينا بحجّ بيتك الملحوظ بعين التعظيم والإجلال. وتجعلنا بها ممّن وقف بعرفة وحلق ولبّى وطاف وسعى وزار قبر نبيّك قبل حلول الآجال. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية المقصود والآمال. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يَجْدُرُ بِنَا وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَشْهُرَ الحَجِّ العَظِيمَةَ، أَنْ نَقِفَ وَقْفَةَ تَأَمُّلٍ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِضَاءَاتِ اليَقِينِ، فَالحَجُّ بِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ دَلالاتِ المَكَانِ، وَالذِّكْرَيَاتِ المُشْرِقَةِ عَبْرَ الأَزْمَانِ، يُعَدُّ تَرْجَمَةً عَمَلِيَّةً لِحَقِيقَةِ اليَقِينِ، وَفِي الحَجِّ يَتَرَبَّى الإِنْسَانُ عَلَى اليَقِينِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَيُصَاحِبُهُ ذَلِكَ فِي رِحْلَةِ الحَجِّ وَمَسْعَاهُ، فَفِي الحَجِّ أَعْمَالٌ قَدْ لا يُدْرِكُ المُؤْمِنُ حِكْمَتَهَا، وَلا يَفْقَهُ سِرَّهَا وَعِلَّتَهَا، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهَا يَقِينًا بِاللهِ سُبْحَانَهُ، وَثِقَةً فِيهِ جَلَّ شَأْنُهُ، وَهَذَا خُلُقُ المُؤْمِنِ مَعَ اللهَ، وَأَدَبُهُ مَعَ أَمْرِهِ تَعَالَى وَهُدَاهُ، قَالَ جَلَّ فِي عُلاهُ في سورة السجدة: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، أيّها المسلمون. فِي رِحْلَةِ الحَجِّ ذِكْرَيَاتٌ عَطِرَةٌ مِنْ حَيَاةِ المُوقِنِينَ، مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَالمُؤْمِنَاتِ وَالمُتَّقِينَ، فَفِي عِرَاصِ الحَجِّ الطَّاهِرَاتِ، سَطَّرَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ وَأُسْرَتُهُ أَرْوَعَ الذِّكْرَيَاتِ، وَقَدَّمُوا بِيَقِينِهِمْ أَصْدَقَ التَّضْحِيَاتِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأُسْرَتِهِ المُبَارَكَةِ، كما في سورة الصافات: { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ}، لَمْ يَقْصِدْ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُشَاوِرَ وَلَدَهُ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ مُتَرَدِّدًا، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَا فِي نَفْسِيَّةِ وَلَدِهِ تِجَاهَ أَمْرِ اللهِ، فجَاءَ جَوَابُ إِسْمَاعِيلَ جَوَابَ الْوَلَدِ الْمُحِبِّ للهِ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِلْحَيَاةِ،

{قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ}، أيّها المسلمون. ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ المَرأَةِ الصَّالِحَةِ، وَالزَّوْجَةِ المِثَالِيَّةِ النَّاجِحَةِ، الَّتِي حُقَّ لِكُلِّ زَوْجَةٍ أَنْ تَقْتَدِيَ بِهَا، وَتَسِيرَ عَلَى دَرْبِهَا، فَفي الصحيح عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((جَاءَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِـهَاجَرَ وَابنِهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحَدٍ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ بِهِ أَنِيسٌ؟ آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا))، وَفِي رِوَايَةٍ: ((فَقَالَتْ لَهُ: إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟! قَالَ: إِلَى اللهِ، فَقَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ))، اللهُ أَكْبَرُ! مَا أَعْظَمَهَا مِنْ كَلِمَةٍ، وَمَا أَصْدَقَهَا مِنْ عِبَارَةٍ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا وَبَيْنَ حُرُوفِهَا مَعَانِيَ كَثِيرَةً، تَحْمِلُ مَعْنَى الإستِجَابَةِ لأَمْرِ اللهِ، وَالإستِسْلامِ لِقَضَائِهِ، وَالإنقِيَادِ لِحُكْمِهِ، فَاللهُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ لَنْ يُضَيِّعَهَا، لأَنَّهَا لا تَرْكَنُ إِلَى قُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ، وَإِنَّمَا تَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّ البَرِيَّةِ، فَهُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، إِنَّهُ مَوقِفٌ يَشِعُّ بِنُورِ الخُضُوعِ وَالتَّسْلِيمِ، وَيُشْرِقُ بِسَنَا التَّوَكُّلِ عَلَى العَزِيزِ الكَرِيمِ، وَيَضْرِبُ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ عَلَى الثِّقَةِ فِي الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، إِنَّهُ دَرْسٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. أيّها المسلمون. إنّ مَوْسِمَ الحَجِّ ذُو خُصُوصِيَّةٍ فِي مَقَاصِدِهِ وَعِبَرِهِ وَدُرُوسِهِ، وَلِهَذَا صَرَفَ اللهُ تَعَالَى أَنْظَارَنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ في سورة الحج: {وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ}، إِنَّهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَلَهَا تَأْثِيرُهَا فِي الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ كُلِّهَا، فَالحَجُّ فِي حَيَاةِ المُسلِمِينَ مَدْرَسَةٌ وَاسِعَةُ الأَثَرِ، بَلِيغَةُ العِبَرِ، تُضِيءُ إِشْرَاقَاتُها التَّرْبَوِيَّةُ، وَتُنِيرُ مَعَالِمُها الإِيمَانِيَّةُ، فالعَبْدَ الَّذِي يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الذَّهَابَ إِلَى حَجِّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، قَدْ فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ البِرِّ وَالطَّاعَةِ، فَلْيُعِدَّ لَهُ عُدَّتَهُ، وَلْيَتَأَهَّبْ لِرِحْلَتِهِ الرُّوحِيَّةِ، الَّتِي إِنْ أَحْسَنَ التَّرْحَالَ، فِيهَا رَجَعَ مِنْهَا مَغْفُورَةً ذُنُوبُهُ، مَسْتُورَةً عُيُوبُهُ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((مَنْ أَتَىٰ هَٰذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))، وَرَوى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)). أيّها المسلمون. إِنَّ الرِّحْلَةَ إِلَى تِلْكُمُ الدِّيَارِ المُقَدَّسَةِ، رِحْلَةٌ إِيمَانِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَمَهْمَا تَيَسَّرَتْ لِلْحَاجِّ سُبُلُ الرَّاحَةِ فِي وَسِيلَةِ السَّفَرِ، وَأَدَاءِ المَنَاسِكِ، فَإِنَّ الْمَشَقَّةَ الَّتِي يَزْدَادُ مَعَهَا الأَجْرُ وَالثَّوَابُ لا رَيْبَ حَاصِلَةٌ، فَفِي الحَجِّ بَذْلٌ لِجُهْدٍ بَدَنِيٍّ وَمَالِيٍّ، وَلِذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَقد رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: ((أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)). وَحَجُّ المُؤْمِنِ بَيْتَ اللهِ المُعَظَّمَ اسْتِجَابَةٌ مِنْهُ لِنِدَاءِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّذِي كَلَّفَهُ اللهُ تَعَالَى بِمُهِمَّةِ تَهْيِئَةِ ذَلِكُمُ المَكَانِ المُقَدَّسِ، حَتَّى يُصْبِحَ مَرْكَزَ العِبَادَةِ الأَعْظَمَ لَدَى جَمِيعِ المُسْلِمِينَ عَبْرَ الأَجْيَالِ، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ تَعَالَى الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورة الحج: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، أيّها المسلمون. إِنَّ فِي الحَجِّ امْتِحَانًا لِتَسْلِيمِ العَبْدِ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنْ لَمْ تَبْدُ لَهُ الحِكَمُ وَالفَوَائِدُ، فَيَقُومُ بِمَا يَقُومُ بِهِ مِنَ المَنَاسِكِ، وَمَا يَدْفَعُهُ إِلى ذَلِكَ إِلَّا التَّعَبُّدُ المَحْضُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، وَالإِقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ، وَالإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِ الخَاتَمِ الأَعْظَمِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ}، وَفِي امْتِنَاعِ المُحْرِمِ عَنْ مَحْظُورَاتٍ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الإِحْرَامِ، وَأَكْثَرُهَا فِي الأَصْلِ مِنَ المُبَاحَاتِ حَالَ الإِحْلالِ، مَا يُرَبِّي نَفْسَهُ عَلَى

اجْتِنَابِ المَحْظُورَاتِ الَّتِي يُحْجَرُ عَلَيْهِ الإقْتِرَابُ مِنْهَا طَوَالَ الحَيَاةِ، وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ يُحَقِّقُ التَّسْلِيمَ المُطْلَقَ للهِ جَلَّ شَأْنُهُ، الَّذِي عَلَّمَهُ أَنْ يَقُولَ: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُۖ}، أيّها المسلمون. إنَّ الْهَدَفَ الأَسْمَى، وَالْغَايَةَ الْعُظْمَى مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ الْحَج، تَرْسِيخُ مَلَكَةِ التَّقْوَى فِي النُّفُوسِ، وَهِيَ خَيْرُ زَادٍ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَقَدْ أَشَارَ اللهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَمَا قَالَ في سورة البقرة: {ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ}. وَحَقِيقَةُ التَّقْوَى أَنْ يُطَاعَ اللهُ فَلا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ، وَقَدْ قَالَ أمير المؤمنين سيّدُنا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ورضي عنه، عِنْدَمَا سُئِلَ عَنِ التَّقْوَى فَقَالَ: (هِيَ الْخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ)، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَظِّمَ حُرُمَاتِ اللهِ، وَأَنْ يَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي وَسَطِ آيَاتِ الْحَجِّ، كما في سورة الحج: {ذَٰلِكَۖ وَمَنْ يُّعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَي ٱلْقُلُوبِۖ}، وَلَنْ يَنَالَ اللهَ مِنَ الْحَجِيجِ مَالٌ أَنْفَقُوهُ، وَلا جُهْدٌ بَذَلُوهُ، وَلا هَدْيٌ نَحَرُوهُ؛ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْهُمْ، يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي خِتَامِ آيَاتِ الْحَجّ: {لَنْ يَّنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِنْ يَّنَالُهُ ٱلتَّقْوِيٰ مِنكُمْۖ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَيٰ مَا هَدِيٰكُمْۖ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَۖ}، أيّها المسلمون. لا بُدَّ أَنْ يَحْرِصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى تَقْدِيمِ عِبَادَاتِهِ، وَمِنْ بَيْنِهَا الحَجُّ، فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَفِي أَتَمِّ الهَيْئَاتِ، فَإِنَّهَا تُقَدَّمُ إِلى نَاقِدٍ بَصِيرٍ، عَلِيمٍ خَبِيرٍ، سبحانه وتعالى، وَالحَجُّ مِنَ العِبَادَاتِ المُهِمَّةِ الَّتِي مَدَارُ قَبُولِهَا الإِخْلاصُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَقُولُ تَعَالَى في سورة البقرة: {وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِۖ}، أَيْ: أَتِمّوهُما خَالِصَيْنِ لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ سُبْحَانَهُ، وَعَلَى قَاصِدِ الحَجِّ التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَرَدُّ الحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَتَحَرِّي الخُرُوجِ بِالمَالِ الطَّيِّبِ الحَلالِ، ثُمَّ لا بُدَّ مِنْ فِقْهٍ بِأَدَاءِ المَنَاسِكِ، فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَعَرَّفَ أَحْكَامَ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ قَبْلَ سَفَرِهِ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَإِذَا مَا عَزَمَ عَلَيْهَا فَلْيَصْطَحِبِ الأَخْلاقَ العَالِيَةَ، وَالخِلالَ الحَمِيدَةَ، فَبِذَلِكَ تَزْكُو

عِبَادَتُهُ، وَيَنَالُ مِنْ حَجِّهِ أَوْ عُمْرَتِهِ الْمَنَافِعَ كَامِلَةً، ثُمَّ لِيُرَاعِ سَعَةَ النَّفَقَةِ؛ فَإِنَّ سَعَةَ نَفَقَتِهِ مِمَّا يُعِينُ عَلَى سَعَةِ خُلُقِهِ، وَلا يَجْعَلْ نَفْسَهُ كَلًّا عَلَى الآخَرِينَ، بَلْ لِيَكُنْ حَامِلًا لِسِوَاهُ لا مَحْمُولًا، فَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَيُرْوَى: ((أَنَّهُ جِيءَ إِلى سيّدنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَوْمٍ خَرَجُوا إِلى الْحَجِّ وَلا نَفَقَةَ لَدَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذُوا يَسْتَعْطِفُونَ النَّاسَ، فَسَأَلَهُمْ سيّدنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقالوا: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمُ المُتَوَكِّلِينَ، بَلْ أَنْتُمُ المُتَوَاكِلُونَ)). أيّها المسلمون. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللهُ، وَأَقِيمُوا شَعَائِرَهُ كَمَا أَمَرَكُمْ؛ حَتَّى يَغْدُوَ حَجُّكُمْ مَبْرُورًا، وَسَعْيُكُمْ مَشْكُورًا، فَـ ((الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ)). وَلْيَكُنْ لَكُمْ فِي مَوَاقِفِ الحَجِّ وَمَشَاهِدِهِ عِبْرَةٌ وَذِكْرَى، وَتَأَمُّلٌ وَتَفَكُّرٌ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْرَعْ إِلّا تَرْبِيَةً لِنُفُوسِكُمْ، وَتَهْذِيبًا لِسُلُوكِكُمْ، وَرُقِيًّا بِأَفْكَارِكُمْ. وَاحْرِصُوا عَلَى تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ، وَاجْعَلُوا مِنْ مَنَاسِكِ الحَجِّ دَلِيلًا عَلَى مَبَادِئِكُمْ وَأَخْلاقِكُمْ، وَاقْتَفُوا فِي ذَلِكَ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صلى لله عليه وسلم؛ تُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَسْعَدُوا فِي آخِرَتِكُمْ. وَاستَلْهِمُوا مِنْ مَوَسِمِ الحَجِّ وَمَنَاسِكِهِ مَا يَقْوَى بِهِ يَقِينُكُمْ، وَيُصْلِحُ أَمْرَ دُنْيَاكُمْ وَدِينِكُمْ، وَأَخْلِصُوا التَّوْبَةَ لِمَا فَاتَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ؛ يُبَارِكِ اللهُ سَعْيَكُمْ، وَيُحْسِنْ عَاقِبَتَكُمْ. وَأَدُّوا مَا أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَدَائِهِ مِنَ التَّعَبُّدَاتِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى أَكْمَلِ الوُجُوهِ وَأَتَمِّهَا، وَأَوْفَى الصُّوَرِ وَأَكْمَلِهَا، وَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللهَ لا يُخَيِّبُ مَنْ سَأَلَهُ، وَلا يَرُدُّ مَنْ دَعَاهُ وَأَمَّلَهُ. فنسأل الله تعالى أن يفقّهنا في ديننا. ويرزق حجاجنا الأدب في بلده الأمين. ويجعلنا بالجنّةِ فائزين، ولأعلى الدرجات حائزين، ويجعلَنا ممّن تدعُو لهم الملائكةُ بقول الله عز وجل في سورة غافر: {ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ

وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ